

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

الدرس الخامس: جمع المادية العلمية وتنظيمها (المصادر، المراجع...).

بعد اختيار الباحث لموضوعه، وضبط عنوانه من خلال القراءات العميقة لمختلف الدراسات القريبة لموضوعه، وبعد أن يضبط الباحث إشكالية بحثه، تأتي مرحلة التعرف على المادة العلمية الخبرية.

يقول "أسد رستم" عن التاريخ "إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ معها"، والأصول هي مصادر الكتابة التاريخية، فلا تاريخ دون العودة إلى مصادره الأصلية أو المراجع التي تناولت هذه الأحداث المراد التأريخ لها، وهي مصادر متنوعة مادية أثرية، ومادية مكتوبة وشفوية.

فتكون هذه المصادر إما مصادير مكتوبة: شاهدة على ما نريد التأريخ له، وهي عبارة عن وثائق مكتوبة، كالرسائل واليوميات، والمقالات المنشورة في الجرائد والمجلات، ثم الكتابات التاريخية والأدبية والوثائق الرسمية، من معاهدات واتفاقيات، والنقائش الخطية وغيرها.

وقد ظهرت منذ اختراع الكتابة حوالي 3200 ق.م وما قبلها ومنها الكتابة المسمارية في العراق القديم والكتابة الهيروغليفية في مصر. إذ كشفت التحريات

والتنقيبات الأثرية في هذين الحضارتين عن العديد من مجاميع كبيرة من النصوص والوثائق المكتوبة من سجلات المعاملات التجارية والاقتصادية التي تبرز شؤون الحياة في تلك الفترة، كالبيع والشراء والقرض، والعقود المختلفة كعقود الزواج والطلاق وسجلات المحاكم، إضافة إلى سجلات رسمية مهمة تتعلق بالحكام والملوك والرسائل الرسمية والقوانين المدونة كقانون حمورابي، إضافة إلى ملاحم البطولة والأساطير والشعائر الدينية كاسطورة الخلق، الطوفان، إيزيس وأوزوريس...

أما النوع الثاني من المصادر والمتمثل في المصادر غير المكتوبة (المادية أو الأثرية)، مثل الأعمال الفنية والتسجيلات، بالإضافة إلى ملابس وأدوات الزينة، والأدوات المنزلية والأثرية، وهي وتشمل جميع المخلفات المادية منذ عصور ما قبل التاريخ والتاريخ القديم منها: الأدوات الحجرية كالفؤوس اليدوية والنصال والسكاكين وبيوت السكن الطينية والأكواخ الثابتة

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل
وصناعة أدوات الحجرية ورؤوس السهام، والمناجل الصوانية والأواني الفخارية البسيطة، ثم
المعابد والقصور الفنون بمختلف أنواعها كالنحت والزخارف والفنون المختلفة، الجسور والقناطر
وقنوات المياه وغيرها من البقايا المادية مثل الأواني الفخارية المنحوتات ...

أما المصادر الشفوية: فهي ما يتم تناقله مشافهة من قبل أشخاص شاهدوا الحدث وعاصروه
أو كانوا قريبين منه زمنيا وجغرافيا، أو كانوا في موقف الفاعل أثناء حدوثه وكانوا من المؤثرين
فيه.

إضافة إلى هذه المصادر التي نسميها أصولا، أو نقول عنها أساسية هناك مصادر أخرى
يستخدم عليها بالمصادر الثانوية أو المراجع: وهي مجموعة الكتب والبحوث والمقالات الحديثة
التي تتحدث عن الموضوع المبحوث فيه سواء الباحث كان طالبا مبتدئا أو متخصص فلا
يستغني كل منهما عن الرجوع في أولى مراحل البحث إلى تلك البحوث والمؤلفات التي كتبت
عن نفس الموضوع أو القريبة منها بشكل مباشر أو غير مباشر لأن الاطلاع على ما كتب
في أي موضوع تاريخي هو من مستلزمات البحث التاريخي للاهتمام بما كتب ونقده والاقتداء
به وكذلك الاستفادة بما جاءت به تلك المؤلفات من المراجع والمصادر الخاصة بالموضوع.

وللوصول إلى هذه المراجع والمصادر فالباحث مجبر جمع معلوماته من الأماكن المودعة
فيها، المبوبة والمفهرسة وفق أحدث الأساليب العلمية المتبعة في تنظيم المكتبات والأرشيفيات
وغيرها من المراكز العلمية المختلفة في العالم .

تبدأ عملية جمع الأصول والمراجع بدراسة الكتابات السابقة، ومعرفة المراجع التي أخذوا
منها، فيبدأ بحثه حيث انتهوا، وإليك أهم الخطوات في الحصول على المراجع، فينصرف أولا
للغطلاع على المجاميع البيبليوغرافية، التي تبرز أسماء المراجع فقط بينما يذكر البعض الآخر
نبذة موجزة عن هذه المراجع. ويخلو معظمها من ذكر المقالات الموجودة في المجالات
والدوريات ولذلك لابد من مراجعة فهارس هذه الدوريات، ثم الرجوع إلى فهارس الوثائق التي
تهم موضوعه حيث إن كثير من الدول قد قامت بتنظيم وفهرسة الوثائق التي لديها ومن هذه
المجاميع البيبليوغرافية نبرز:

منهجية وتقنيات البحث التاريخي 2 السداسي الرابع د. بوقارة عبد الرحمان جامعة جيجل

ومن الأحسن للباحث المبتدئ أن يرجع في بحثه إلى المادة التاريخية المعتمدة على المصادر والتي تتضمنها عادة أهم الموسوعات والمدونات المعرفية وفي مقدمتها :

— الموسوعة الكبرى (الفرنسية) La Grande Encyclopédie française.

— الموسوعة الفرنسية Encyclopédie française

— الموسوعة الإسلامية Encyclopédie de l'Islam

— الموسوعة البريطانية Encyclopædia Britannica

— الموسوعة الأمريكية Encyclopædia Americana.

— الموسوعة الألمانية Der Grosse Brockhaus

كما يتوجب عليه في بعض المواضيع الرجوع إلى سجلات فهارس الكتاب والمؤلفين وكتب التراجم والطبقات، والتي تشير إلى أهمها بالنسبة إلى التاريخ الإسلامي حسب التصنيف التالي :

فهارس الكتب والمؤلفين :

— الفهرست لمحمد بن اسحاق بن النديم (حوالي 338هـ/1046م) :

— كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة المعروف بكتاب جليبي (ت 1067 هـ / 1656 م) :

— هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين لإسماعيل بن محمد بغدادي (ت 1339 هـ / 1920 م) :

— معجم المؤلفين لعمر كحالة.

مراجع حول الدرس:

1- مبروك بن عيسى: مناهج البحث العلمي في العلوم الإنسانية، دار الخلدونية، القبة، الجزائر، 2019.

2- حيدر كامل: منهجية البحث الأثري والتاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت لبنان، 1995.

3- حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط. 2، دار المعارف، القاهرة، 1964.

4- فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة: أسس ومبادئ البحث العلمي، ط. 1، مطبعة شعاع الفنية، مصر، 2002.

5- فهيمة سعودي: "الكتابة التاريخية الغربية المدرسة الوضعية والحولية نموذجاً"، مجلة الفكر، المجلد السادس، ع. 1، الجزائر، جوان 2022.

6- ناصر الدين سعيدوني: أساسيات منهجية التاريخ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000

7- بلال عمرون: محاضرات في منهجية البحث التاريخي، جامعة البليدة 2، 2024/2023